الإدارة بالبربسة

أشعر أحياناً بأننا محسودون جداً، حيث إنه في الوقت الذي يعاني فيه العالم من شحٍّ النظريات الإدارية، فإننا ننعم ولله الحمد بتعدد المدارس الإدارية التي تتوالد منها النظريات كالأرانب، بل إن غالبية وزرائنا ومدرائنا الكبار والصغار هم مدارس إدارية متنقِّلة، وكانتونات إدارية مستقلة، والفرق الوحيد الذي يتميز به العالم عنا أن إدارتهم فاعلة، فقط فقط!

أما التخمة فهي عندنا، وأما الكم فهو لنا نحن العرب، فلدينا أطول وأكبر وأجمل وأوسع (وأطنخ) وأضخم، وجميع أفعل التفضيل التي تتخيلونها، حتى أن أكبر صحن حمص في العالم مسجل باسم العرب، ومن الطبيعي أن أطالب هنا بأن يتم تسجيلنا في كتاب جينيس للأرقام القياسية كأكثر أمة تبِيضُ النظريات الإدارية كالدجاج!

ولأنني لست على اطلاع على الكم الهائل من النظريات الإدارية في محيطنا العربي، فإنني سأكتفي فيما يلي باستعراض خمس نظريات من مجتمعنا المحلي، وذلك على النحو التالي :

١ـ الإدارة بالهراوة :

يعتمد المدير الذي يطبق هذه النظرية على مدى فتوّته وسطوته، وقربه وبعده عن المدير الأعلى منه، وقد اكتسب هذه السمات من (الحارة)، ومثله الأعلى هو الحَكَمُ الذي كان يشارك الباقين في لعب كرة القدم، ولذا فإن شعاره دائماً مقولة : «علي الطلاق إنه بلنتي، وعلي الطلاق ما يشوته إلا أنا»، ويتميز هذا المدير بأنه (ملكّع) ولا تمر عليه حركات (الهيامة) بسهولة، وهو لا يؤمن بالنظام

ولا بالقوانين إلا إذا كانت في صالحه.

٢- إدارة طقّها والحقها :

هذا النوع من المدراء مبادر جداً (بدون سنع) وشجاع جداً و(مدرعم) جداً، لدرجة أنه لا يفكر أصلاً، وهو كافر بالإستراتيجيات والخطط والأهداف ويعتبرها (كلاماً فاضياً)، وهو قدريٌّ الميول، وشعاره دائماً (خليها على ربك)، وكثيراً ما يردد عبارة (تتهايس لين تلقى الطريق) في إشارة واضحة بأن كل شيء مكتوب وسيقع فلماذا نعمل ونكد ونجتهد، فإن أصابت أصابت وإن خابت خابت، (وكلو محصل بعضو)، وله تنسب المقولة المشهورة (الأذن احمرَّت والأولاد عند الله).

٣- مع الخيل يا شقراء :

يتميز المدير الذي يعمل وفق هذه النظرية بأنه لا في العير ولا في النفير، وليس له في البيض ولا في الدقيق، وشعاره دائماً : وما أنا إلا من غزيّة، ومن ميزاته أنه سهل وهين كالريشة في مهب الريح، (تسرّحه الرياح الغربية وتروّحه الشرقية)، ويتميز أيضاً بالصمت وكأنه (خيال مآتة)، كما أن من ميزاته تفويض الصلاحيات لدرجة لا يعود يدري معها (وين هي سارحة)، أتت به الواسطة إلى الكرسي، ولذا هو قوي جداً بها فقط.

٤- الإدارة بالفكر :

تعتبر هذه النظرية حديثة قليلاً، وهي متعلقة بالأفكار، ولا علاقة لها بالواقع أبداً، وتعتمد النظرية على أحلام اليقظة، والإيهام المستمر الذي يجعل الناس ينفصمون عن الواقع، ويتميز المدير بأنه ذكي جداً، ويستطيع الإقناع كمشعوذ، كما أنه صبور جداً على الاستمرارية في إنتاج الوهم، ولا يعنيه العمل كثيراً، إذ يكفي حسب وجهة نظره أن يتخيل (المعصقل) بأنه طرزان وسيكون طرزاناً حقيقياً، وعلى المستوى العملي يكفي أن نتخيل بأن شوارعنا المتسخة نظيفة، وأن مرورنا الغائب موجود، وأن مراقبي البلديات والقطاعات الأخرى يعملون، وأن أزمة الإسكان غير موجودة، وأن رؤية ٢٠٣٠ ستتحقق بهذا الأداء الخيالي، وهذه

النظرية صالحة للتطبيق في هيئة الترفيه على وجه الخصوص لما تحققه من (ضحك على الذقون) وبكفاءة عالية!

٥- الإدارة بالبربسة :

تعتبر هذه النظرية هي الأحدث لدينا، وفي العالم قاطبة، ورغم غموض مصطلح البربسة إلا أن علماء الإدارة يرونه معادلاً موضوعياً لإدارة (أنا أبخص)، وإدارة أنا أبخص مستقاة في الأساس من فرعون الذي قال: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ ومن هنا تبرز خطورة هذه النظرية التي قد تنحو بالمدير إلى استعباد موظفيه وتأليه نفسه، ولذا فإن النقاد يسمونها الإدارة الديكتاتورية، ومن أهم عيوبها الأخرى أنها تسير في طريق معاكس للنظام تماماً، وقد تكون نافعة للقادة العسكريين أثناء خوض المعارك فقط.

وأخيراً، فإننا لا نشكو قلة النظريات الإدارية ولا قلة المديرين، ولكننا نخشى فقط (الحوسة) التي قد تنتجها هذه الكثرة، ونخشى أن لا يحتمل جدارنا كثرة الأنظمة المرمية بعرضه، وإلا فنحن ولله الحمد من الناحية الإدارية نعتبر في مقدمة الأمم من الخلف، ولا يزال مديرونا ووزراؤنا يعملون ليل نهار للاستمرار في هذا المركز بالرغم من رؤية عشرين ثلاثين التي تجاهد القيادة، ويجاهد ولي العهد لتحقيقها.